

قراءة مقاصدية لمناهج تكوين الإطارات الدينية

الأستاذة منية سليم

المديرة الفرعية للبرامج وتحسين المستوى



انتدبوني للحديث عن مناهج التكوين في وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، وزاد من شرفي أن أتوجه بهذا الحديث إلى هذه النخبة التي تخرّج للجزائر كل سنة ثلّة من الأئمة الذين يصحّحون لها عقيدتها، ويقوّمون سلوكها، ويرشدونها إلى صراط الله المستقيم.

لكنني أحسّ بالحرّج الشديد من أن أتناول موضوعا بيداغوجيا أمام من هم أقرب إلى هذا التخصص مني، وبحكم التكوين، وبحكم الممارسة، وبحكم ملازمة الأئمة المستفيدين من التكوين بمعاهدهم العامرة. غير أن سلواني أن المشترك الثقافي هو الذي سيناصرني

ألقيت هذه المحاضرة في اليومين الدراسيين اللذين نظمتها وزارة الشؤون الدينية والأوقاف يومي 4-5 أفريل 2010، في دار الإمام بالجزائر العاصمة، وكان موضوعهما مناهج التكوين في معاهد تكوين الإطارات الدينية، وشارك فيهما أساتذة جامعيون وإطارات من الوزارة فضلا عن الطاقم البيداغوجي لهذه المعاهد.

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، أما بعد، فإنني تشرفت بالثقة التي وضعها في منظمو هذه الدورة التكوينية لما

إلى لجان من المتخصصين بالمواد الدراسية، أو بلجان معظم أعضائها من هؤلاء المتخصصين.

غير أن المقصود بالمنهاج في دراستنا هذه يتجاوز هذا المعنى إلى معناه الحديث والذي عرّف بعدة مقاربات منها تعريف تومبس وتيرني (Toombs & Tierney) 1993

الذين يقولان إنه "اسم لكل مناحي الحياة النشطة والفعالة لكل فرد بما فيها الأهداف، والمحتوى، والأنشطة، والتقييم".

وإذا كيّفنا هذا التعريف على حسب موضوعنا فإن المنهاج الذي أود أن أقرأه قراءة مقاصدية هو: "كل مناحي الحياة النشطة والفعالة لكل مكّون في المعاهد الإسلامية بما فيها الأهداف والمحتوى والأنشطة والتقييم".

ومقتضى هذا الاختيار أن يهتم منهاجنا التكويني بالمتعلم، ويثق بقدرته على المشاركة النشطة الفعالة الإيجابية، وأن يؤكد على الاهتمام بجميع جوانب شخصية المتعلم، وقدرته على التعلم

في تبليغ مجموعة من الأفكار أقدر أنها أساسية في عملية تكوين الأئمة في معاهد وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، وأن النقاش الذي سيلي هذا التدخل هو الذي سيضع هذه الأفكار في نصابها المنهجي، ويدفع بها نحو التجسيد الميداني من خلال الإسقاط المنهجي الذي سنشارك فيه جميعاً.

عنوان كلمتي هو "قراءة مقاصدية في منهاج التكوين".

والمنهاج في اللغة العربية الطريق الواضح، ومنه منهج ومنهاج التعليم أو الدروس. وقد ورد قول الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ المائدة: ٤٨ بمعنى الطريق الواضحة التي لا لبس فيها ولا غموض.

وأشهر معانيه الاصطلاحية أنه مجموع المعلومات والحقائق والمفاهيم والأفكار التي يدرسها المكوّنون في المعاهد الإسلامية في صورة مواد دراسية، اصطلاح على تسميتها بالمقررات المدرسية. والتي غالباً ما توكل مهمة إعدادها أو تعديله،

والأفكار والقدرات المختلفة، أو إنجاز أعمال معينة تكون في شكل آليات تكسبه خبرات تكون مستهدفة لكونها أنماط من الممارسات التي تقوي دافعية التفاعل مع مجموعة الخبرات التي يتعامل بها.

فالأهداف احتلت مكانة بارزة في النظام التربوي في نموذج التعليم بواسطة الأهداف، لأنها تعتبر نقطة البداية والنهاية في العملية التعليمية. فهي تعتبر المقياس الحقيقي الذي نقيس به قدرات المتعلمين ومهاراتهم واتجاهاتهم ومواقفهم.

فما مقاصد التكوين في المعاهد الإسلامية؟

لقد عرفت مناهج التكوين في المعاهد الإسلامية التابعة لوزارة الشؤون الدينية والأوقاف عدة تعديلات، تم بموجبها إدخال تحسينات على شبكة الأهداف والمحتويات قصد جعلها تتناسق مع مقاصد التكوين التي تحدد ملمح الإمام القادر على تقديم الخدمات المنتظرة منه دينيا واجتماعيا.

الذاتي. ولا يكون للمعهد الإسلامي في هذا الإطار إلا دور المتعاون مع المؤسسات الأخرى لخدمة البيئة الاجتماعية، ولا يقتصر دورها على تلقين المواد الدراسية للمكوّنين بمعزل عن بيئتها والمؤسسات الاجتماعية الأخرى.

فإذا كان هذا هو منهج التكوين الذي سنقرأه قراءة مقاصدية، فما المقصود أيضا بالقراءة المقاصدية؟

إن المقصد لغة هو الهدف أو المرمى أو الغرض الذي نسعى لتحقيقه.

وفي الاصطلاح التربوي يعبر به عن مجموع السلوكيات والتغيرات والإنجازات التي يراد تحقيقها عند تعلم ما.

ومعنى ذلك -في الموضوع الذي نحن بصدد- أن المكوّن في معاهدنا لا يراد من تعلمه إلا تحقيق مجموعة من الأهداف التي ينبغي أن تظهر في ممارسات سلوكية على مستوى الفعل واللفظ والحركة وتغيرات تحدث على مستوى الاتجاهات والمواقف

وأنا أسوق إليكم هذه المقاصد التي استقرّ عليها القطاع بعد أن صادقت عليها الدولة، وأصبحت بالنسبة إلينا في أسرة التكوين التزاما أخلاقيا وإداريا، بل أصبحت التزاما رساليا:

إنّ منهاج تكوين الإطارات الدينية يهدف إلى تخريج إطار:

- 1 - يفهم مقاصد الإسلام الحنيف فهما صحيحا ويبلغها تبليغا سليما.
- 2 - يكون قادرا على تسيير المسجد تسييرا محكما ويحافظ على رسالته الدينية والاجتماعية.
- 3 - يعمل باستمرار من أجل المحافظة على قداسته والانسجام داخله ويتكفل بتقديم كل الخدمات المنتظرة منه دينيا واجتماعيا.
- 4 - يسهر على استمرار المرجعية الدينية السائدة في المجتمع من حيث أصولها وفروعها.
- 5 - يجتهد في سبيل ترسيخ التوافق الاجتماعي وذلك بدعوته إلى الالتزام بالسلوك الاجتماعي الطيب بين أفراد

المجتمع.

6 - يحرص على تثبيت صفة التسامح والتفتح بين الناس ونبذ التطرف والتعصب والعنف والغلو.

7 - يعمل على ترسيخ محبة المواطنين لوطنهم وذلك بدعوتهم إلى الحرص الدائم على صون أمجاده وعزته وكرامته وحرية.

8 - يغرس ثقة المواطنين بأنفسهم عن طريق الإيمان الراسخ الذي يدفع إلى العمل والإبداع ويبعد عن الكسل والتواكل.

9 - يسعى إلى تنمية قدرة المواطنين على مواجهة الحياة الواقعية وظروفها الاجتماعية وذلك بنذ اليأس والقنوط والتوجه الى الأمل والتفاؤل.

10 - يسهم في صيانة المجتمع من الانحرافات وحمايته من مختلف الآفات الاجتماعية بواسطة نشر التعليم الديني الصحيح.

11 - يكون بصيرا بواقعه، مدركا لمتغيراته، قادرا على المواءمة بين

مثل التاريخ الوطني، وتقنيات التعبير والاتصال.

- تجديد المعلومات والمعارف بصفة مستمرة لمواكبة المستجدات.

- ترسيخ المرجعية الدينية للمجتمع الجزائري وتصحيح بعض المفاهيم.

إن تقويم مدى نجاحنا في عملية التكوين لا يعتمد على تقويم مدى استيعاب المكوّن للمواد المدرّسة، ومدى كونه أحفظ لفقرات محتوى المنهاج من غيره، ولكن التقويم يعتمد على مدى تحقيق هذه الأهداف والمقاصد في الواقع.

فلا معنى لتخريج إمام يحفظ كتاب الله تعالى أحسن حفظ، ويخرّج أحاديث الصحاح والسنن أجود تخريج، ولا معنى لتخريج الخطيب المفوّه إذا كان هذا وذاك لا يحقق مقاصد التكوين المنوّه بها.

والحقيقة أننا نستطيع ترقب مدى تحقيق هذه المقاصد من خلال التقويم الجزئي الذي تجريه المؤسسة المكوّنة دوريا، والذي يُبحث من خلاله عن

مبادئ الإسلام وهذه المتغيرات.

12 - يعتزّ بثواب الأمة ويتمسك بها ويجيد التعامل مع الآخرين من المسلمين ومن غيرهم، ويتسامح معهم.

13 - يتقبل الآخرين من غير دينه، ويقدر أفكارهم ومشاعرهم ومعتقداتهم، مهما كان جنسهم أو دينهم.

14 - يقدر على الابتكار في فهم النصوص الشرعية وتحليلها واستخلاص الأحكام منها مع فقه حكمها.

وتنسحب هذه الأهداف إلى تلك المناهج الخاصة بدورات تحسين المستوى وتجديد المعلومات، الموجهة للأئمة العاملين، ومعلمي القرآن الكريم.

وبصفة أدق وأخص فإنّ الأهداف التي نسعى إلى تحقيقها من خلال مناهج التكوين أثناء الخدمة، هي:

- تعويض النقص في التكوين الأولي للأئمة في بعض المجالات،

**وإن الهدف من تدريس وحدة
"الخطابة". إنما هو تحقيق ما يلي لدى
المكوّن:**

1 - تعليم الطلاب مهارة إلقاء
الخطب من حيث الانتقاء وفصاحة
اللسان ووضوح

العبارة والنطق السليم بصورة
مؤثرة على المستمعين ،

2 - تدريب الطلاب على
المهارات الخطابية كتابياً أو بيانياً
منبرياً أو غير ذلك.

وإن الهدف من تدريس وحدة "الفقه
وأصوله ومقاصد الشريعة الإسلامية".
إنما هو تحقيق ما يلي لدى المكوّن:

1 - أن يتحصل على القدر الكافي
من الأحكام العملية في مجالي
العبادات والمعاملات،

2 - أن يتمكن من الحصول على
القدر الكافي والضروري من العلم
الشرعي الضروري للإمام،

3 - أن يفقه الحكم في العلل من
وراء الأحكام الشرعية،

مدى تحقيق أهداف تدريس محتوى
المنهاج التي غالباً ما صيغت في
البرامج الموزعة عليكم.

وعلى سبيل المثال فإن الهدف
من تدريس الوحدة التربوية المسماة:
"المذهب المالكي نشأته، مدارس،
بعض أعلامه". إنما هو تحقيق ما يلي
لدى المكوّن:

1 - أن يدرك نعمة الوحدة الدينية
التي يتمتع بها المجتمع الجزائري
ويعمل على ترسيخها،

2 - أن يطلع على خصائص
المذهب المالكي وأصوله،

3 - أن يعمل على الحفاظ الوحدة
الدينية للمجتمع من حيث أصولها
وفروعها،

4 - أن يتعرف على بعض أعلام
المذهب المالكي وآثاره في الجزائر،

5 - أن يتعرف على أهم مصادر
الفقه المالكي وخصائصها،

6 - أن يعلم قوة الأدلة الشرعية
التي يتميز بها المذهب المالكي.

وإن الهدف من تدريس وحدة "النصوص القانونية والمهنية". إنما هو تحقيق الإقبال لدى المكوّن على تنفيذ سائر النصوص التنظيمية التي تسهم في تمكين المسجد من أداء رسالته الدينية والاجتماعية.

وإن الهدف من تدريس وحدة "قواعد اللغة العربية". إنما هو تحقيق ما يلي لدى المكوّن:

- 1 - تقويم اللسان والتمكن من النطق السليم والفهم الصحيح للكلام العربي الفصيح،
 - 2 - تنمية قدرات المكوّنين وخصوصاً عند إعراب الكلمات وذلك يساهم في فهم العبارة ومدلولاتها،
 - 3 - تمكّن المكوّنين من التفكير المنظم ودقة الملاحظة،
 - 4 - معرفة قواعد اللغة العربية وسيلة عظيمة لفهم الكتاب والسنة وهذا من أجل الأهداف وأعظمها.
- وإن الهدف من تدريس وحدة "البلاغة". إنما هو تحقيق ما يلي لدى

- 4 - أن يدرك يسر أحكام الشريعة الإسلامية وسماحتها،
- 5 - أن يتعلم آداب الاختلاف والحوار مع الغير،
- 6 - أن يلتزم بحدود العدل والتوازن وينبذ الغلو والتطرف،
- 7 - أن يفهم أن الغرض الهدائي هو المقصود من وراء الأحكام الفقهية.
- 8 - أن يكتسب الإمام القدرة على استنباط الأحكام الشرعية،
- 9 - أن يكتسب الإمام القدرة على الترجيح بين الأحكام ومعرفة الراجح منها،
- 10 - أن يكسب الملكة العلمية النافعة والتي تفيده في الحوار والإقناع،
- 11 - أن يعرف الحكم الشرعي لكل ما يجد من الحوادث والنوازل والتي ليس فيها نص صريح ولا ظاهر ولا بين،
- 12 - أن يتمكن من فهم النصوص وتطبيقها .

المكوّن:

"الثقافة الإسلامية العامة". إنما هو

تحقيق ما يلي لدى المكوّن:

- 1 - تذوق الأدب وفهمه فهماً دقيقاً لا يقف عند تصور المعنى العام للنص الأدبي، بل يتجاوزه إلى معرفة الخصائص والمزايا الفنية للنص،
- 2 - بيان نواحي الجمال الفني في الأدب، وكشف أسرار هذا الجمال ومصدر تأثيره في النفس،
- 3 - فهم ما يدل عليه النص من ضروب المهارة الفنية للأديب وما يصوره من نفسيته، ولون عاطفته،
- 4 - إنضاج الذوق الأدبي في الطلاب، وتمكينهم من تحصيل المتعة، والإعجاب والسرور بما يقرؤون من الآثار الأدبية الرائعة، وتمكينهم من إنشاء الكلام الجيد، بمحاكاة النماذج البلاغية التي يستخدمونها،
- 5 - إقرارهم على إجادة المفاضلة بين الأدباء، وتقويم إنتاجهم الأدبي تقويماً فنياً سديداً.
- وإن الهدف من تدريس وحدة
- 1 - أن يطلع على جهود علماء المسلمين في معالجة القضايا المطروحة في أزمتهم وبيئاتهم،
- 2 - أن ينمي قدرته على التفكير ذي المستوى العالي مثل التعليل والتحليل والربط والاستنتاج،
- 3 - أن يعتز بدور المفكرين والعلماء المسلمين في بناء الحضارة،
- 4 - أن يقدر على المساهمة في تنمية الاتجاه نحو احترام حقوق الإنسان والثقة في قدراته باعتباره صانع الحضارة،
- 5 - أن يكتسب مهارة استخدام مصادر مختلف العلوم، والعلوم الإسلامية خاصة،
- 6 - أن ينمي مهاراته في إعداد مقالات وخطب في موضوعات مختلفة،
- 7 - أن يجيد الاستماع للآخرين ويحترم آراءهم ويحسن الاستفادة

منها،

8 - أن يعتز بالانتماء إلى الوطن
ويتمسك بترائه وحضارته،

9 - أن يقبل على تنفيذ سائر
النصوص التنظيمية التي تسهم في
تمكين المسجد من أداء رسالته الدينية
والاجتماعية.

**وإن الهدف من تدريس وحدة "علم
النفوس". إنما هو تحقيق ما يلي لدى
المكون:**

1 - يكتسب القدرة على
المشكلات التي ترتبط بالعملية
التعليمية - التعلمية تؤثر في أدائه
المهني،

2 - يتمكن من التعرف على
قدرات الأفراد واستعداداتهم ونقاط
القوة والضعف لديهم،

3 - يتمكن من معرفة أنواع
السلوك المختلفة التي يمارسها
الأفراد ومن ثم اختيار مبادئ التعلم
التي تتفق مع طبيعتهم،

4 - يكتسب قدرة على اختيار

طرائق التدريس والوسائل التعليمية
الأكثر فعالية،

5 - يعلم ما مدى أهمية عملية
التقويم التي تمكنه من معرفة ما
تحقق من تقدم في مجال انجاز
الأهداف التعليمية.

وهكذا وكما هو وارد في المقررات
التي أرسلت إلى المعاهد فإن لكل
وحدة تربوية في محتوى منهاج
التكوين أهدافا يمكن تقويم مسار
التكوين تقويما جزئيا من خلال مراقبة
وامتحان مدى تحقق هذه الأهداف
لدى المكونين.

وإن مجموع هذه الأهداف هو الذي
يحقق مقاصد التكوين في معاهدنا
الإسلامية والتي أشرنا إليها سابقا،
وإنني أرجو من النقاش الذي يمكن أن
يلي هذه الكلمة المقتضبة أن ينير دربنا
في بناء المقررات وتعديلها، وضبط
وسائل وآليات التقويم والمتابعة.